

فحيث يكون كنزكم يكون قلبكم

القلب "هو العنصر الأكثر حميمية وخفية وحيوية عندنا؛ و"الكنز" له قيمة كبرى ويُعطينا ضمانة لليوم وللمستقبل". القلب "هو أيضًا مقر قيمنا وجذُر خياراتنا الحسبية؛ إنه المكان الخفي الذي نُحدِّد فيه معنى حياتنا. فما الذي نخصِّص له المرتبة الأولى فعليًا؟ ما هو "كنزنا" الذي نحن مستعدون أن نُهمِلَ كلَّ ما تبقى من أجله؟ في المجتمع الاستهلاكي ذي الطابع الغربي، كلُّ شيء يدفعنا إلى تكديس الخيرات المادية، والتَّركيز على حاجاتنا، وعدم الاهتمام بحاجات الآخرين، وذلك تحت شعار الرفاهية والفعالية الفردية. إلا أنَّ هذه الآية وردت في سياقٍ ثقافيٍّ مختلف، كتعليمٍ حاسمٍ وشاملٍ لكلِّ الرِّجالِ والنِّساءِ من كلِّ زمنٍ ومن كلِّ مكانٍ.

فحيث يكون كنزكم يكون قلبكم

يُشدِّد الكتاب بقوة على ضرورة اتِّخاذ خيارٍ جذريٍّ نهائيٍّ يميِّز المؤمن: الله هو الخير الحقيقي، الذي يجبُ أن يحتلَّ قلب المؤمن بكلِّيته. يحمل هذا الخيار الحصريُّ معه الاستسلام الواثق لمحبيته وإمكانية أن نصبح "أغنياء" فعليًا، لأننا أبناء الله وورثته ملكوته. إنَّ المسألة مسألة حرية: لا نجعل الخيرات المادية تمتلكننا بل نكون نحن أسيادها حقًا. في الواقع، قد يحتلُّ الغنى الماديَّ القلب، ويولِّد رغبة متزايدة بالامتلاك، وشكلاً من أشكال التبعية. أمَّا الصِّدقة التي يَحْتَسِنُ عليها هذا المقطع، فتتعلَّق بالعدل الذي "تُملِّيه الرِّحمة، والذي يُخفِّف من ثِقَلِ قلوبنا ويفتِّحه على المساواة الأخوية".

يستطيع كلُّ مؤمن وكلِّ جماعة المؤمنين أن يختبروا الحرية الحقيقية من خلال المشاركة بالخيرات المادية والروحية، مع الأشخاص المحتاجين: هذا هو أسلوب الحياة الذي يشهدُ للنِّقَّة الحقيقية بالله، والذي يضعُ أسسًا متينة لحضارة المحبة.

فحيث يكون كنزكم يكون قلبكم

بههدف التحرر من عبودية الامتلاك، يُعدُّ اقتراح كيارا التالي منيرًا: لماذا يُشدِّد الله كثيرًا على التجرد عن الخيرات، حتَّى أتة يجعلها شرطًا أساسيًا للتمكّن من اتِّباعه؟ لأنَّه هو غنى حياتنا الأول وكنزنا الحقيقي [...]. هو يريدنا أحرارًا، ويريد أن تكونَ نفسنا حرَّة من كلِّ تعلُّقٍ ومن كلِّ همٍّ، حتَّى نتمكّن من محبته حقًا من كلِّ قلبنا، وعقلنا، وقوتنا [...]. يطلبُ إلينا أن نتخلَّى عن ممتلكاتنا. "أيضًا لأنَّه يريدنا أن نفتح على الآخرين [...]. أبسط طريقة لنعيش "التَّخلي" هي أن تُعطي نعطى الله إذ نحبه [...]. وكي نبرهن عن محبتنا هذه، دعونا نُحبُّ إخوتنا وأخواتنا، ونحن على استعداد لكلِّ شيء من أجلهم. وحتَّى إذا لم نع ذلك، فلدينا الكثير من الغنى يمكننا أن نشارك به: عندنا عاطفة في قلبنا نُعطيها، ومودة نُظهرها، وفرح ننقله؛ لدينا وقت نضعه في النَّصرَف، وصلوات، وغنى داخليّ نضعه في المشاركة؛ عندنا أحيانًا أشياء، كتب، ثياب، سيَّارات، نقود فلنُعطِ من دون أن نُحلِّل كثيرًا: "لكن هذا سيفعني في تلك المناسبة أو في تلك الأخرى". كلُّ شيء قد ينفِغنا، ولكننا [...]. إذا استمعنا لهذه الاقتراحات، يتسلَّل الكثير من التعلُّقات في قلبنا، وتولد لدينا دائماً متطلِّباتٌ جديدة. لا، لنسَع للحصول على ما "نحن بحاجة إليه فحسب. ولنننَّبه لعدم خسارة الله مُقابل مبلغٍ نريد أن نضعه جانبًا أو شيء يمكننا الاستغناء عنه.

ماريزا وأغسطينو، متزوَّجان منذ أربع وثلاثين سنة، يخبراننا ما يلي: بعد ثماني سنوات من زواجنا، كان كلُّ شيء يسير على ما يُرام، فالبيت والعمل كانا كما أردناهما. ثمَّ اقترح علينا بأن ننتقل من إيطاليا إلى بلدٍ في أميركا اللاتينية، كي نُساند الجماعة الناشئة هناك. ومن بين ألف صوتٍ من أصوات الخوف، والمستقبل المجهول، والأشخاص الذين نعتونا بالجنون، برزَّ صوتٌ كان يُعطينا سلامًا كبيرًا: صوتُ الله يقترح علينا: "تعال واتبعني". هذا ما قمنا به. وهكذا وجدنا أنفسنا في بيئة مختلفة تمامًا عن البيئة التي اعتدنا عليها. كان ينقضنا الكثير من الأمور، ولكننا كنَّا نجدُ بالمقابل أمورًا أخرى، كغنى العلاقة مع أشخاصٍ كُثُر. كذلك اخترنا العناية الإلهية بشكلٍ قويٍّ جدًّا: ذات مساء نظمنا حفلة صغيرة، وكان على كلِّ عائلة أن تُحضِر للعشاء طعامًا تقليديًّا من منطقتها. نحن كنَّا عدنا للتو من سفرة في إيطاليا وكان معنا قالبًا من جبن البارميدجانو. وفيما نحن محتارون بين مشاركة العائلات بقطعة من الجبن والفكرة بأنَّه لن يتبقَّى منها شيءٌ بعد فترة قصيرة، تدكَّرنا الآية: "أعطوا تُعطوا". نظرنا واحدنا إلى الآخر وقلنا: لقد تركنا وطننا، وعملنا، وأقرباءنا، والآن نحن نتعلَّق بقطعة جبن. فقطعنا قطعة كبيرة من القالب وحملناه معنا. بعد يومين، دقَّ جرس البيت، فإذا بسائحٍ لم نكن نعرفه، صديقٍ أصدقائنا، يحمل هدية من قِبلهم. فتحناها فوجدنا فيها قالبًا من جبن البارميدجانو. "إنَّ وعدَ الله...: سَتُعْطُونَ في أحضانكم كيلاً حسنًا مَرَكومًا مُهزَّهراً طافِحًا" هو بالفعل حقيقة.

